

إضاءة على حقوق الأطفال ذوي الإعاقة في ظل العدوان الإسرائيلي المستمر على قطاع غزة المحاصر

في ظل الظروف الكارثية بسبب العدوان المتواصل على غزة المحاصرة، يُعاني الأطفال ذوو الإعاقة قدرًا مضاعفًا من الحرمان من حقوقهم الأساسية، وفي مقدمتها الحق المقدّس في الحياة، يليه الحق في الرعاية الصحية، والدعم النفسي والاجتماعي، والمساعدات الإنسانية. ويدفع الأطفال الفلسطينيون ذوو الإعاقة الذين يُعانون أساساً من التهميش والجرمان بسبب أشكال التمييز على أساس الإعاقة وغياب الترتيبات التيسيرية وإمكانية الوصول ومقومات الشمول، أثمناً مضاعفة، من آثار العدوان بالاستهداف المباشر بالقتل والتجوع والتشريد وغياب احتياجات ومتطلبات الأطفال ذوي الإعاقة من أدوات مساعدة دُمرت ومراكز صحية لم تعد قائمة وأدوية وعلاجات ومُكمّلات غذائية لم تدخل أساساً مع المساعدات الشحيحة منذ بدء العدوان، وصعوبات هائلة في التنقل مع تدمير البنية التحتية والطرق والشوارع وعدم مواءمة أماكن النزوح غير الآمنة لاحتياجاتهم، وتدهور خطير في أوضاعهم الإنسانية والصحية، وتنامي مطرد في الإعاقات، وفي أعداد الضحايا بغياب الاستجابة الطارئة الكافية والفعّالة.

هنالك إشكالية كبرى في فهم الإعاقة (الصعوبة) وأنواعها وفق اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (CRPD) تؤدي إلى مؤشرات وأرقام غير واقعية بشأن أعداد الضحايا من الأشخاص ذوي الإعاقة، من الأطفال، أو الكبار، وبخاصة داخل قطاع غزة في ظل الهجمات العسكرية الإسرائيلية السبع السابقة منذ العام 2006، مُضافاً إليها العدوان الإسرائيلي الشامل على القطاع المستمر منذ السابع من أكتوبر 2023. ولعلّ التصريحات الأقرب إلى مؤشرات ضحايا العدوان الأخير بالاستناد إلى مفهوم الإعاقة الوارد في اتفاقية (CRPD) هو الذي جاء في بيان خبراء الأمم المتحدة بتاريخ 25 أكتوبر 2024 بعنوان "مأساة داخل مأساة" للدلالة على الأوضاع والظروف الإنسانية المروعة التي يعيشها الأشخاص ذوو الإعاقة، أطفالاً ونساءً وكبار سن ورجالاً، داخل قطاع غزة المحاصر بعد عام كامل على العدوان والجرائم الدولية المستمرة وبخاصة صور الإبادة الجماعية المرتكبة في غزة، حيث ورد في بيان خبراء الأمم المتحدة "إن العديد من الفلسطينيين المصابين في قطاع غزة والذين يبلغ عددهم نحو 100 ألف شخص سوف يصابون بإعاقات طويلة الأمد تتطلب إعادة التأهيل والأجهزة المساعدة والدعم النفسي والاجتماعي وغيرها من الخدمات التي يفتقر إليها القطاع بشدة".

وأضاف بيان خبراء الأمم المتحدة: "إنّ التأثير يمتد إلى ما هو أبعد من الإصابات الجسدية، ليشمل صدمات عاطفية ونفسية خطيرة وتأثيرات أوسع على النسيج الاجتماعي واحتياجات الأسر والمجتمعات، وخاصة النساء اللواتي يتحملن العبء الأكبر من الرعاية"¹. وترى مؤسسة قادر أن ثمة احتمالات مرتفعة أن يعيش كل طفل من أطفال غزة مع نوع من أنواع الإعاقة حسب مفهوم الإعاقة المعتمد في المادة الأولى من اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، على مستوى الأطفال فقط، وهذا ينحسب على عشرات الآلاف من النساء والرجال وكبار السن، مما يجعل من الإعاقة كبرى تجليات آثار العدوان على الضحايا ولا سيما مع استمراره وتصاعده، وخروج معظم المستشفيات عن الخدمة، والتجوع وعدم

¹ البيان الصادر عن خبراء الأمم المتحدة، مأساة داخل مأساة، منشور على الرابط: <https://www.ohchr.org/en/press-releases/2024/10/tragedy-within-tragedy-un-experts-alarmed-harrowing-conditions-palestinians>

إدخال المساعدات وخاصة المرتبطة منها بالإعاقة. الأمر الذي يكشف مدى عمق التهميش حتى على مستوى معرفة عدد الضحايا من الأطفال ذوي الإعاقة قبل الحديث عن الحماية الدولية المقررة لهم بموجب الاتفاقيات الدولية في النزاعات المسلحة والاحتلال العسكري.

وقد أعرب خبراء الأمم المتحدة في بيان صحفي صدر عنهم بتاريخ 25 أكتوبر 2024 يحمل عنوان: "مأساة داخل مأساة" عن قلقهم إزاء الظروف المروعة التي يواجهها الفلسطينيون ذوو الإعاقة المحاصرون في قطاع غزة. حيث يُشير مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان نقلاً عن خبراء الأمم المتحدة بأن: "مأساة داخل مأساة تجري في قطاع غزة، حيث تركز حملة الإبادة الجماعية التي تشنها إسرائيل الأشخاص ذوي الإعاقة دون أي حماية. يُقتل ويُصاب الأشخاص ذوو الإعاقة في هجمات عشوائية رغم أنهم لا يُشكلون أيّ تهديد أمني، مما يجسد الهجوم المتعمد على المدنيين من قبل إسرائيل".²

ونؤكد من جانبنا، بأنّ الهجمات العسكرية الممنهجة وواسعة النطاق التي استهدفت الحق المقدس للأطفال ذوي الإعاقة لم تقتصر على العدوان الأخير الشامل على القطاع، بل تعكس سياسة ممنهجة استهدفت الأشخاص ذوي الإعاقة، بشكل مباشر، خلال الهجمات العسكرية الإسرائيلية السابقة على القطاع، وهذا ما أكدته لجنة التحقيق الدولية المستقلة التي شكلها مجلس حقوق الإنسان في أيار/مايو 2018 في سياق الاحتجاجات واسعة النطاق التي جرت في 30 آذار/مارس 2018 وحملت تسمية "مسيرات العودة الكبرى ورفع الحصار عن قطاع غزة" وما خلّصت إليه اللجنة في تقريرها الذي اعتمده مجلس حقوق الإنسان عام 2019 من استنتاجات أبرزها "لا شيء يُبرر قتل أو جرح الصحفيين والمُسعفين والأشخاص الذين لا يشكلون أي تهديد مباشر بالموت أو بإصابة الأشخاص الذين يحيطون بهم بجروح خطيرة. والأخطر من ذلك هو استهداف الأطفال والأشخاص ذوي الإعاقة". وأضافت لجنة التحقيق أن "هناك أسباب معقولة تدعو إلى الاعتقاد بأن القتّاصة الإسرائيليين أطلقوا النار على صحفيين ومُسعفين وأطفال وأشخاص ذوي إعاقة وهم على علم جلي بكيونهم". واعتبرت اللجنة بأن تلك الانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي والقانون الدولي لحقوق الإنسان ترقى إلى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. واعتمد مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة توصيات لجنة التحقيق الدولية بشأن مسيرات العودة الكبرى بتاريخ 22 آذار 2029 (A/HRC/40/L.25) وكذلك ثلاثة قرارات أخرى ذات صلة.³

أشار مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان بأن "الأطفال في الأراضي الفلسطينية المحتلة يعيشون حالة من العنف المستمر التي تهدد حياتهم وصحتهم النفسية والجسدية"⁴. كما أشارت هيومن رايتس ووتش، في مقال صادر بتاريخ 30 سبتمبر 2024، بأن الحصار المستمر على غزة يلحق ضرراً غير متناسب على الأطفال ذوي الإعاقة، الذين كانوا يُعانون

² الموقع الرسمي للمفوضية السامية لحقوق الإنسان من خلال الرابط التالي: <https://www.ohchr.org/en/press-releases/2024/10/tragedy-within-tragedy-un-experts-alarmed-harrowing-conditions-palestinians>

³ ضمان المساواة والعدالة في جميع انتهاكات القانون الدولي في الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس المحتلة وثيقة أمم متحدة رقم (A/HRC/40/L.25).

⁴ الموقع الرسمي للمفوضية السامية لحقوق الإنسان من خلال الرابط التالي:

<https://www.ohchr.org/en/statements/2024/05/palestinians-disabilities-subject-unbearable-consequences-ongoing-hostilities>

بالفعل من وضع هش، وهم معرضون بشكل خاص لخطر الأذى النفسي الدائم⁵. وأفادت تقارير اليونسيف بأن تدمير البنية التحتية يُفاقم من وضع الأطفال ذوي الإعاقة ويصعب وصولهم إلى الرعاية والخدمات الأساسية، مما يجعلهم عرضة لأذى مضاعف ويزيد من هشاشتهم في ظل النزاع المستمر⁶. وخلال اجتماع لمجلس الأمن الدولي حول الوضع في الشرق الأوسط، بما فيه القضية الفلسطينية، بتاريخ 9 أكتوبر 2024، قالت ليزا دوتن المسؤولة بمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية: "كل يوم- وفقاً لوكالة الأونروا- يفقد 10 أطفال إحدى الساقين أو كليهما. أصبحت غزة موطناً لأكبر مجموعة من الأطفال مبتوري الأطراف في التاريخ الحديث"⁷.

استهدف الاحتلال معظم المستشفيات العاملة في قطاع غزة خلال عدوانه الممنهج وواسع النطاق، بما فيها المستشفيات التي تُقدم الخدمات للأشخاص ذوي الإعاقة؛ حيث دمر مستشفى الشيخ حمد للتأهيل والأطراف الصناعية، ومستشفى الوفاء للتأهيل الطبي، ومركز الأدوات المساعدة التابع للإغاثة الطبية، ومقر الاتحاد الفلسطيني العام للأشخاص ذوي الإعاقة في محافظات الشمال، ومدينة الأمل لتنمية القدرات التابعة لللال الأحمر في غزة، وألحق أضراراً فادحة بعدد كبير من الجمعيات والمراكز التي تقدم خدمات الرعاية والتأهيل للأشخاص ذوي الإعاقة⁸. هذا الاستهداف، الممنهج، فاقم وما زال الأوضاع الكارثية للأطفال ذوي الإعاقة في قطاع غزة مع انهيار الخدمات الصحية وتلك المتخصصة المتصلة بالإعاقة. وشكّل، وما زال، تهديداً خطيراً على صحة وحياة الأطفال والأشخاص ذوي الإعاقة عموماً، وفاقم النقص الهائل في تلبية احتياجات ومتطلبات الأشخاص ذوي الإعاقة، بمختلف الإعاقات، في القطاع⁹.

هناك نقص هائل في احتياجات ومتطلبات الأشخاص ذوي الإعاقة بمختلف الإعاقات، تشمل احتياجات ومتطلبات الأطفال ذوي الإعاقة، وتراجع حاد في دخول المساعدات الإنسانية المنقذة للحياة، وتلك المساعدات الشحيحة التي تدخل إلى قطاع غزة لا تشمل احتياجات ومتطلبات الأطفال والأشخاص ذوي الإعاقة عموماً، والخطورة لا تقتصر على كم المساعدات وإنما تشمل أيضاً نوع المساعدات ومدى تلبية احتياجات ومتطلبات الإعاقة المنقذة للحياة، وتصاعد النقص الهائل في "الأطراف الصناعية، والكراسي المتحركة، والعكازات، والمُعينات السَّمعية، والفرشات الطبية، والمكملات الغذائية، والأدوية المتعلقة بالإعاقات، والأجهزة الطبية، والملابس، والفوط الصحية، والمستلزمات الطبية، وغيرها من الاحتياجات والمتطلبات". كما أن هذه الاحتياجات والمتطلبات، المنقذة للحياة، للأطفال ذوي الإعاقة، لا تحظى بالاهتمام الواجب من هيئات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والدول، مما أدى إلى تدهور خطير

⁵ الموقع الرسمي لهيومن رايتس ووتش من خلال الرابط التالي: <https://www.hrw.org/news/2024/09/30/gaza-israeli-attacks-devastate-lives-children-disabilities>

⁶ الموقع الرسمي لمنظمة اليونسيف: <https://www.unicef.org/emergencies/children-gaza-need-lifesaving-support>

⁷ متوفر على موقع الأمم المتحدة من خلال الرابط التالي: <https://news.un.org/ar/story/2024/10/1135541>

⁸ بيان صحفي مشترك صادر عن ثلاث منظمات حقوقية فلسطينية مستقلة وعاملة في غزة (المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، مؤسسة

الحق، مركز الميزان لحقوق الإنسان) منشور في 8 شباط 2024 على الرابط: <https://www.alhaq.org/ar/advocacy/22636.html>

⁹ للمزيد، أنظر/ي تقرير مؤسسة قادر حول "أثر العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة على حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة – رصد الانتهاكات

والتحليل القانوني والمساءلة والإنصاف، نيسان 2024، على الرابط <https://www.qader.org/ar/resources/6084.html>

في الأوضاع الصحية لأعداد هائلة من الأشخاص ذوي الإعاقة، لا سيما الأطفال، وارتفاع حالات الوفاة بينهم. وهذا ما أكدته متابعات الفريق الميداني التابع لمؤسسة قادر الذي عمل، وما زال، على توثيق تلك الانتهاكات بالأدلة وشهود العيان.

وبحسب الإفادات التي وثقها الفريق الميداني لمؤسسة قادر في قطاع غزة من أسر الأطفال ذوي الإعاقة، تواجه الأسر صعوبة شديدة في الوصول إلى المساعدات الإغاثية والإنسانية، وإن ما حصلوا عليه من مساعدات لا يُلبي الاحتياجات والمتطلبات المنقذة للحياة للأشخاص ذوي الإعاقة. لا سيما الأطفال منهم، مثل الحليب والفيتامينات والمكملات الغذائية والأدوية الخاصة بالإعاقة، إضافة للاحتياجات والمتطلبات الأخرى كالأدوات المساعدة والمستهلكات والمستلزمات الطبية وغيرها من الاحتياجات. تلك الاحتياجات غير مشمولة بالمساعدات الشحيحة التي تدخل القطاع منذ الإغلاق الشامل، مما يعني المزيد من التدهور والتهديدات الخطيرة التي تطال حياة الأطفال ذوي الإعاقة في القطاع.

يواجه الأطفال في قطاع غزة، وعلى نحوٍ أشد الأطفال ذوو الإعاقة، مخاطر صحية جسيمة نتيجة عدم حصولهم على التطعيمات الأساسية في الأوقات المحددة، لا سيما التطعيمات ضد فيروس شلل الأطفال، مع بدء ظهور حالات مُثبتة للإصابة بالفيروس بين الأطفال في ظل الأوضاع الكارثية التي يعيشها القطاع واستمرار العدوان الإسرائيلي الشامل على القطاع، والاستهداف الممنهج للمدنيين والأعيان المدنية، والتدمير واسع النطاق للبنية التحتية، والنزوح المتكرر للسكان، وعرقلة سلطات الاحتلال دخول التطعيمات وعمل الطواقم الصحية. وقد أكدت اليونيسف ومنظمة الصحة العالمية في تصريحٍ رسمي لهما صدر في أغسطس 2024 أهمية استئناف حملات التطعيم ضد شلل الأطفال في غزة، مؤكدين أن الإخفاق في ذلك يُهدد صحة الأطفال، خاصة ذوي الإعاقة الذين يعتمدون على الرعاية الصحية المستمرة.

نخلصُ من هذه الإضاءة الموجزة، إلى إطلاق "النداء" مُجدداً بأن يحظى الأطفال ذوو الإعاقة بالحماية الدولية الخاصة المؤكدة في اتفاقية حقوق الطفل (CRC) واتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (CRPD) وقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2475 (2019) الذي أكد وجوب حماية الأشخاص ذوي الإعاقة في النزاعات المسلحة والاستجابة الإنسانية الطارئة وغيرها من المعايير الدولية، بالأولوية القصوى، المتصلة بالحق المقدس في الحياة، في كافة حملات الدعم والمناصرة والمؤتمرات الدولية الهامة، كما مؤتمرهم هذا، لضمان الاستجابة الإنسانية الطارئة والمنقذة للحياة، والعمل وفق مسارات المساءلة المختلفة لضمان وقف الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي والجرائم الدولية، المثبتة بالأدلة، التي تطال الأطفال، ولا سيما الأطفال ذوي الإعاقة، والنساء والرجال وكبار السن، ومحاسبة الاحتلال على هذه الجرائم، والوصول للانتصاف الفعال للضحايا.